المبحث الرابع

عبادة الملائكة

الملائكة مطبوعون على طاعة الله، ليس لهم القدرة على العصيان، قال تعالى:{لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

فتركهم للمعصية، وفعلهم للطاعة جبلة، لا يكلفهم أدنى مجاهدة لأنه لا شهوة لهم وهم مأمورون بالعبادة والطاعة، قال تعالى:{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾} [النحل: ٥٠].

وفي الآية يخافون ربهم، والخوف نوع من التكاليف الشرعية، بل هو أعلى أنواع العبودية كما قال تعالى فيهم:{وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٨][1].

وقد دلت النصوص الشرعية على عصمة الملائكة من الذنوب، فمن ذلك قوله تعالى:{ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾} [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

وقال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

فالملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية، قائمون بالخدمة منفذون للتعاليم، وعلم الله بهم محيط، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم، خائفون وجلون وهم لا يفعلون إلا

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ٢٩.

ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم وهم مكلفون بطاعته، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة.

ومن بعض هذه العبادات[1]:

أولاً: إيمانهم بالله عز وجل وشهادتهم بالتوحيد:

فالملائكة يؤمنون بالله عز وجل إيماناً كاملاً، ويشهدون أنه لا إله إلا هو سبحانه ويخضعون لأوامره تعالى، كما يؤمنون به سبحانه وبأسمائه وصفاته وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا:

١- قال تعالى:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ} [آل عمران: ١٨].

٢- وقال تعالى:{لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾} [النساء: ١٦٦].

فقد شهدوا على صدق الوحي وأنه منزل من عند الله العزيز الحكيم.

٣- وعن إيمانهم بأسماء الله تعالى وصفاته، فيقول الله تبارك وتعالى: { قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ} [البقرة: ٣٢].

٤- وقال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [غافر: ٧][2].

ثانياً: تسبيح الملائكة لله تعالى:

تكرر في الكتاب والسنة ذكر تسبيح الملائكة في صور متنوعة وبعبارات مختلفة منها:

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٠.

(٢) عبودية الكائنات لرب العالمين فريد إسماعيل التوني ص ٣٥٦.

١- تسبيحهم على الدوام بلا انقطاع:

أ - قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾} [الأعراف: ٢٠٦].

يعني بهم: الملائكة. وهذه العبودية تعني قربهم من الله تعالى ورفعة منزلتهم على غيرهم من المخلوقات ثم وصفهم الله تعالى - في هذه الآية - بثلاثة أوصاف:

أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى، وأنهم يسبحونه، وأنهم يسجدون له، وهذه الأوصاف دالة على كمال عبوديتهم لله تعالى، حيث قد اجتمعت لهم العبادة القلبية والقولية والبدنية، فعدم الاستكبار عبادة قلبية عنها تنشأ العبادة القولية والبدنية[١]، والتسبيح هو ذكرهم لله تعالى وتنزيههم إياه عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته وهو عبادة كائنة بالقلب - وهي اعتقاد التنزيه - وباللسان - وهي قول: سبحان الله ونحوه من الذكر، وبالجوارح، كالصلاة - مثلاً.

والسجود عبادة بدنية تتضمن الخضوع والذل لله العلي العظيم، وتقديم الجار والمجرور في قوله:{وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ} إيذان باختصاص سجودهم لله تعالى وحده دون غيره[٢].

ب - قال تعالى:{وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾} [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٤٥٠) لأبي حيان.
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤٥٠) لأبي حيان.

فقوله - هنا -{وَمَنْ عِندَهُ} يعني الملائكة[1]، كما في الآية السابقة، وقد تضمنت هذه الآية بيان أن الملائكة زيادة على عدم استكبارهم عن عبادة الله{وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} أي: لا يتعبون ولا يملون[2]، ولهذا فهم{يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} وهذا كالبيان لقوله:{وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} لأن من يحب أمراً ولا يتعب منه، لا يتركه ولا يمل منه بل يواظب عليه[3]، والملائكة كذلك يحبون تسبيح الله تعالى، فهم دائبون عليه ليلاً ونهاراً، لا يلحقهم كلال ولا إعياء، ولا يشغلهم التسبيح عن تدبير ما وكلوا به من أمور الخلق[4].

ج – قوله تعالى:{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾} [فصلت: ٣٨].

وهذه الآية في معنى الآيتين السابقتين فقوله:{لَا يَسْـَٔمُونَ} كقوله:{لَا يَفْتُرُونَ} [5].

وجميع هذه الآيات دالة على قوة الملائكة وكمال حياتهم، وشدة الداعي القوي منهم إلى تسبيح الله تعالى وملازمته، فلا يلحقهم فيه فتور ولا سآمة ولا يشغلهم عنه شاغل[6].

٢– تسبيح حملة العرش والحافين من حوله من الملائكة:

أ – قال تعالى:{وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾} [الزمر: ٧٥].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٨٤).
(٢) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٤) د. محمد كندو.
(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/ ٣٦).
(٤) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٤).
(٥) المصدر نفسه (١/ ٢٧٥).
(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٤٥).

وهذه الآية ذكرت بعد ذكر أحداث يوم القيامة وما يقع فيه من القضاء بين العباد، وتوفية كل نفس ما عملت، وإدخال أهل الجنة وأهل النار كلا في المحل الذي يستحقه ويليق به. فقوله:{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ} أي: في ذلك اليوم العظيم{حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} أي: محدقين محيطين بالعرش[1]،{يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} أي: يمجدونه ويعظمونه ويقدسوه وينزهونه عن الجور وعن كل ما لا يليق بجلاله[2]،{وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهذا إخبار عن حمد الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين، عقيب قضائه بالحق بين الخلائق ولهذا حذف فاعل الحمد في قوله:{وَقِيلَ} لإفادة العموم والإطلاق حتى لا يسمع إلا حامد لله تعالى من أوليائه ومن أعدائه ومن جميع مخلوقاته[3]، كما قال الإمام الحسن البصري: لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم، ما وجدوا عليه حجة ولا سبيلاً [4].

ب – قال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾} [غافر: ٧].

وفي هذه الآية ذكر الله تعالى صنفان من ملائكته المسبحة بحمده، وهما: الملائكة الذين يحملون العرش، والملائكة الذين يطوفون حول العرش، ثم أخبر تعالى عنهم جميعاً بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنهم{يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} وهذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٧٥).
(٢) المصدر السابق (٤/ ٧٥).
(٣) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٩).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).

تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره وحمد له، بل الحمد هو العبادة لله تعالى[1].

الأمر الثاني: أنهم{وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} أي: يقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته[2].

الأمر الثالث: أنهم{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} أي: يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، ممن آمن بالغيب، وأقر بمثل إقرار الملائكة من توحيد الله تعالى والبراءة من كل معبود سواه[3].

وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة أن الله تعالى قيض ملائكته المقربين الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان من البشر، ويدعون لهم بظهر الغيب، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم[4].

وقوله تعالى:{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر: ٧] هو بيان لصفة دعائهم للمؤمنين وكذا الآيتان المذكورتان بعدهما، وتخصيص هذين الصنفين من الملائكة بالذكر في الموضعين السابقين دليل على ما لهما من شأن عظيم، إذ اختارهم الله تعالى لحمل عرشه العظيم والطواف من حوله، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم وأقربهم منه سبحانه وتعالى[5].

---

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٩).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤١)، التسبيح في الكتاب (١/ ٢٧٩).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٨).
(٤) تيسير الكريم المنان للسعدي ص ٧٣٢.
(٥) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٠)، تفسير البغوي (٧/ ١٣٩).

٣- تمدح الملائكة بتسبيحهم لله تعالى:

أ - قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [البقرة: ٣٠].

{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} يتضمن تمدحهم بتسبيحهم وتقديسهم لله تعالى[١].

ب - وقال تعالى - حكاية لقول الملائكة:{وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾} [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦].

وفي هذا تمدح بوقفهم صفوفاً في السماء لعبادة الله تعالى وبتسبيحهم لله تعالى، وقد أقسم الله تعالى بهم في قوله سبحانه:{وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾} [الصافات: ١].

فأما الصافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء[٢].

وقولهم:{وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} وقال ابن كثير في تفسير الآيتين: أي: نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له فقراء إليه، خاضعون لديه[٣].

٤- تسبيح الملائكة لكلام الله تعالى وقضائه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٧٧).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٧٧).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦).

رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ :«ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ :«فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون» [(١)].

فهذا الحديث يبين أن الملائكة يسبحون لله تعالى إذا قضى أمراً، أي: إذا تكلم بأمره الذي قضاه مما يكون، وفي ذلك إشارة إلى أن هذا التسبيح للتنزيه، والتعظيم والخضوع لكلام الله تعالى وقضائه بما شاء أن يكون من الأمور، فإنه سبحانه لا يقول إلا الحق، ولا يقضي إلا بالحق[(٢)].

وقد جاء تأكيد هذا المعنى في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال:«إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان[(٣)]، فإذا فزع عن قلوبهم[(٤)]، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير» [(٥)].

---

(١) مسلم رقم ٢٢٢٩، يقرفون: يخلطون فيه الكذب.
(٢) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٢).
(٣) الصفوان: الحجر الأملس.
(٤) فزع عن قلوبهم: أي: أزيل عن قلوبهم الخوف.
(٥) البخاري رقم ٢٢٢٩.

وهذا كله يبين أن لكلام الله تعالى بالقضاء أو الوحي وقعاً عظيماً على الملائكة، يخرون لذلك سجداً لله تعالى، ويسبحون تنزيهاً وتعظيماً وخضوعاً له سبحانه[1].

٥- افتتاح الملائكة في كلامها مع الله بالتسبيح:

ومن تسبيح الملائكة لله تعالى أيضاً أنهم إذا تكلموا معه سبحانه افتتحوا كلامهم بالتسبيح له وذلك في مقامات دل عليها كتاب الله تعالى من هذه المقامات:

أ - قوله تعالى:{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [البقرة: ٣١ - ٣٢].

وهذا مقام بين الله تعالى فيه شرف آدم للملائكة بما فضله به من علم أسماء كل شيء من أصناف المخلوقات[2].

ثم عرض تعالى تلك الأشياء على الملائكة قائلاً:{أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}. وقد علم تعالى أنه لا علم لهم بذلك، وإنما سألهم ليريهم عجزهم، وأنه قد خلق من خلقه من هو أعلم منهم بتعليمه إياه[3]، فأجاب الملائكة قائلين:{سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، أي: تنزيهاً لك أن نعلم شيئاً إلا ما علمتنا إياه، فإنك أنت العليم بكل شيء من غير تعليم، وأنت الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك، ما تشاء لمن

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٢).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٧٦).
(٣) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٣).

تشاء، لك الحكمة العليا والعدل التام في ذلك[1].

والشاهد: أنهم بدأوا كلامهم مع الله تعالى في هذا المقام بالتسبيح وهذا أدب منهم وتعظيم لذي الجلال والإكرام والعظمة المطلقة[2].

ب – قال تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾} [سبأ: ٤٠ - ٤١].

وهذا تقريع للمشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق حين يحشرهم الله تعالى جميعاً، ثم يسأل الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يتخذونهم آلهة من دون الله، فيقول تعالى للملائكة:{أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم[3]، فيجيب الملائكة - متبرئين من عبادة المشركين - " قَالُوا:{سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ}، افتتحوا جوابهم بالتسبيح لله تعالى، اي: تنزيهاً لك أن يكون معك شريك في العبادة، فنحن عبيدك مفتقرون إلى ولايتك فلا نتخذ وليًّا من دونك، ونبرأ إليك من هؤلاء المشركين[4].

وهذا يعني أن الملائكة لم يأمروهم بذلك - وحاشاهم - وإنما أمرهم بذلك الشياطين من الجن[5]، ولهذا قالوا:{بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [6].

---

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٨٣).
(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٤١٣).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥٠).
(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٢).
(٥) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٤).
(٦) المصدر نفسه (١/ ٢٨٤).

٦- حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى:

ومما يبين حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى قوله عز وجل:{تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥} [الشورى: ٥].

ومعنى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} أي: قاربت السماوات على عظمها وكونها جماداً - أن يتشققن ويتصدعن[١]. ومعنى:{فَوْقِهِنَّ} أي: كل سماء تتفطر فوق التي تليها[٢] وللعلماء في سبب مقاربة السماوات للتفطر - في هذه الآية - وجهان كلاهما يدل له قران:

الوجه الأول: أن المعنى{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} خوفاً من الله تعالى وهيبة وإجلالاً، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى - قبله -{وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ } [الشورى: ٤]، لأن علوه عز وجل وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر وعلى هذا الوجه فقوله - بعده -: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} مناسبته لما قبله واضحة، لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه تعالى والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة، فهم يسبحون بحمد ربهم أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله مع إثباتهم له كل كمال وجلال - خوفاً منه وهيبة وإجلالاً.

الوجه الثاني: أن المعنى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والارض جلا وعلا من كونه اتخذ ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، وهذا الوجه جاء موضحاً في قوله تعالى:{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٤١٣).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٤١٤)، التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٧).

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾} [مريم: ٨٨ - ٩٣].

وغاية ما في هذا الوجه أن آية الشورى هذه فيها إجمال في سبب تفطر السماوات، وقد جاء ذلك موضحاً في آية مريم المذكورة، وعليه فمناسبة قوله تعالى:{وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الشورى: ٥] لما قبله أن الكفار وإن قالوا أعظم الكفر وأشنعه، فإن الملائكة بخلافهم، فإنهم يداومون ذكر الله وطاعته، كما قال تعالى:{ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾} [فصلت: ٣٨].

وكلا الوجهين المذكورين حق، غير أن الوجه الأول هو المقصود هنا، فمنه يتبين حال الملائكة في تسبيحهم لله تعالى، أنهم لشدة خوفهم من الله وهيبتهم وإجلالهم له يسبحون بحمده على الدوام بلا انقطاع، وقوله تعالى - في هذه الآية الكريمة -:{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ} لخصوص الذين آمنوا منهم، كما أوضحه الله بقوله تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟} [غافر: ٧].

وقوله تعالى - في ختام الآية -:{أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [الشورى: ٥] أكد فيه أنه هو وحده المختص بغفران الذنوب وإيجاد الرحمات، وذلك بذكر حرف الاستفتاح{أَلَا} وحرف التوكيد{إِنَّ} المقتفين للتوكيد، وضمير الفصل{هُوَ} المقتضى للحصر[1]، وبجميع ما سبق ذكره في هذا المطلب من الآيات والأحاديث والآثار يتجلى مقام الملائكة في التسبيح، وأنهم في

(١) التسبيح في الكتاب والسنة (١/ ٢٨٩).

هذه العبادة العظيمة متميزون عن غيرهم من العالمين[1].

ثالثاً: دعاء الملائكة للمؤمنين:

دلت النصوص من الكتاب والسنة على دعاء الملائكة للمؤمنين وهو إما دعاء عام أو دعاء خاص بسبب أفعال صالحة مخصوصة فمن دعائهم العام قوله تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ } [الأحزاب: ٤٣].

قال ابن كثير: وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار[2].

وأما دعاؤهم الخاص، فقد وردت نصوص تدل على دعائهم بالخير لمن عمل بعض الأعمال الخاصة، فمن ذلك:

١- دعاؤهم لطالب العلم ومعلمه:

قال رسول الله ﷺ :«**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف البحر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذه بحظ وافر**» [3].

وقال رسول الله ﷺ :«**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى**

(١) المصدر نفسه (١/ ٢٨٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٦).
(٣) صحيح جامع بيان العلم لأبي الأشبال الزهيري رقم ٦١.

النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» [1].

٢- الدعاء لمنتظر الصلاة ولمن جلس في المسجد بعد الصلاة:

قال رسول الله ﷺ :«لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة وتقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يحدث»[2].

٣- دعاؤهم للذين يصلون الصفوف ويسدون الفرج:

قال رسول الله ﷺ :«إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف، ومن سد فرجه، رفعه الله بها درجة» [3].

٤- دعاؤهم لأهل الصفوف المتقدمة في الصلاة:

قال رسول الله ﷺ :«ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» قالوا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال:«يتمون الصفوف ويتراصون في الصف» [4].

٥- دعاؤهم للمنفق ماله في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ :«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[5].

٦- دعاؤهم لمن صلى على النبي ﷺ :

قال رسول الله ﷺ :«ما من مسلم يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما

---

(١) صحيح جامع بيان العلم لأبي الأشبال الزهيري رقم ٦٥.
(٢) مسلم (١/ ٤٤٩ - ٤٥٠) كتاب المساجد.
(٣) صحيح الجامع للألباني (١/ ١٣٥)، رقم ١٨٣٩.
(٤) مسلم (١/ ٣٢٢) رقم ٤٣٠.
(٥) البخاري (٣/ ٣٠٤) رقم ١٤٤٢.

صلى عليّ، فليقلل العبد من ذلك أو يكثر» [1].

٧- دعاؤهم للمتسحرين:

قال رسول الله ﷺ :«إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين» [2].

٨- دعاؤهم للصائم إذا أكل عنده المفاطير:

عن أم عمارة ابنة كعب الأنصارية أن النبي ﷺ دخل عليها، فقدمت إليه طعاماً فقال:«كلي»، فقالت: إني صائمة، فقال رسول الله ﷺ : «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أُكل عنده حتى يفرغوا وربما حتى يشبعوا»[3].

٩- تأمينهم على دعاء من حضر عند المريض أو الميت:

فعن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ :«إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»[4].

١٠- تأمينهم على من يدعو لأخيه المسلم:

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثله»[5].

١١- دعاؤهم بالسلام على جنبتي الصراط:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: ذكر رسول الله ﷺ الشفاعة فقال:«إن الناس يعرضون على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب

(١) صحيح الجامع (١/ ١٧٤) رقم ٥٦٢٠.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٦٥٤.
(٣) سنن الترمذي (٢/ ١٤١) رقم ٧٨٢.
(٤) مسلم (٢/ ٦٣٣) رقم ٩١٩.
(٥) مسلم (٢/ ٢٠٩٤) رقم ٢٧٣٢.

يخطف الناس، وبجنبتيه الملائكة يقولون: اللهم سلم سلم» [1].

رابعاً: دعاء الملائكة على الكفار وعلى أقوام بسبب أعمال سيئة:

وكما تدعو الملائكة للمؤمنين وتصلي عليهم وتستغفر لهم، فإنها تبغض الكفار وتلعنهم وتنزل من السماء لعقابهم وتكون عوناً للمؤمنين عليهم، كما وقع في غزوات النبي ﷺ والنصوص من الكتاب والسنة كثيرة في هذا الموضوع[2].

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١} [البقرة: ١٦١].

وقال تعالى:{كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧} [آل عمران: ٨٦، ٨٧].

وهذا اللعن من الملائكة والعياذ بالله يصحب صاحبه إلى يوم القيامة، كما قال تعالى:{وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩} [هود: ١٨، ١٩].

والأشهاد هنا هم الملائكة، وقيل: هم الملائكة والأنبياء والرسل وسائر البشر والجان، والشاهد أن الملائكة يلعنون الكفرة يوم القيامة والعياذ بالله[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٦) إسناده صحيح.
(٢) في الملائكة المقربين ص ١١٤.
(٣) المصدر نفسه ص ١١٤.

قال القرطبي: الأشهاد الملائكة الحفظة، وذكر ذلك عن مجاهد والأعمش وغيرهما[١].

وهم كذلك يلعنون أهل النار يوم القيامة بعد تقريع أهل الجنة لهم كما قال تعالى:{وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤} [الأعراف: ٤٤].

قال القرطبي:{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ} أي: نادى وصوت مؤذن من الملائكة[٢].

وقد ورد كذلك أن الملائكة تدعوا بالعذاب والغضب على أقوام بسبب أعمال سيئة، فمن ذلك:

١- دعاؤهم على المحدث في المدينة:

عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال:«**المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث ومن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» [٣].

وقال رسول الله ﷺ :«**المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل[٤] ولا صرف**» [٥].

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٨).
(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٠٩).
(٣) البخاري (٢/ ٦٦١) رقم ١٧٦٨، مسلم رقم ١٣٦٦.
(٤) العدل: القربة وقيل الفريضة، والصرف: التوبة أو النافلة.
(٥) مسلم رقم ١٣٦٦.

والحدث: الأمر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة، والمحدث ما يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر من نصر أو آواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضا والصبر عليه فإنه من رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه. وفيه الحديث:«**إياكم ومحدثات الأمور**»، جمع محدثة - بالفتح - وهي ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع[1].

٢- لعنهم من سب أصحاب النبي ﷺ :

قال رسول الله ﷺ :«**من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» [2].

٣- لعنهم من أشار بالسلاح على مسلم:

قال رسول الله ﷺ :«**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه**» [3].

وقال رسول الله ﷺ :«**لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار**» [4].

٤- لعنهم من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه:

قال رسول الله ﷺ :«**من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه**

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ٣٥١).
(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ١٤٢) رقم ١٢٧٠٩ إسناده حسن.
(٣) مسلم (٤/ ٢٠٢٠) رقم ٢١٦١.
(٤) مسلم رقم ٢٦١٧.

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [١].

وقال رسول الله ﷺ :«من تولى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف» [٢].

٥- لعنهم من حال بين ولي المقتول وبين القاتل أو الدية:

قال رسول الله ﷺ :«من قتل في عمية أو عصبية بحجر أو سوط أو عصا فعليه عقل الخطأ ومن قتل عمداً فهو قود ومن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله عنه صرفاً ولا عدلاً» [٣].

٦- لعنهم المرأة التي تهجر فراش زوجها:

قال رسول الله ﷺ :«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح» [٤].

٧- تركهم الصلاة على النائحة:

قال رسول الله ﷺ :«لا تصلي الملائكة على النائحة ولا على مرنة» [٥].

خامساً: ولاء الملائكة للمؤمنين:

١- فمن ذلك استغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين، قال تعالى:{ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ

(١) سنن ابن ماجة، ك الحدود رقم ٢٦٠٩ صححه الألباني.
(٢) مسلم رقم ١٥٠٨ ك العتق.
(٣) صحيح الجامع (٥/ ٣٣٦) رقم ٦٣٢٦.
(٤) البخاري رقم ٤٨٩٧ ك النكاح.
(٥) مرنة: الصائحة على الميت، نقلاً عن الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٢) إسناده حسن.

مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ} [غافر: ٧ - ٩].

٢- وتقوم بتبشير المؤمنين بالجنة في الدنيا عند موتهم والسلام عليهم في الآخرة عند دخولهم الجنة، فأما في الدنيا فكما في قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾} [فصلت: ٣٠].

فيخبر الله تعالى بأن الملائكة تتنزل على المؤمنين الصادقين عند الموت وتقول: لا تخافوا مما تُقدموا عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإنا نخلفكم فيه، كما يبشرونهم بالجنة التي وعدوا بها(١).

٣- وأما في الآخرة فكما قال تعالى:{ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾} [الزمر: ٧٣].

٤- ومن مظاهر ولاء الملائكة لأهل طاعة الله تعالى: نصرتهم وتأييدهم للمؤمنين في القتال وقد حدث ذلك في بعض غزوات النبي ﷺ فقال:{إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }

[الأنفال: ١٢].

سادساً: براءة الملائكة من أهل الكبائر والمعاصي وبغضهم لأئمة الكفر:

(١) عبودية الكائنات لرب العالمين ص ٣٦٠.

وأما عن براءتهم من أهل الكبائر والمعاصي فيظهر ذلك كثيراً في آيات القرآن والأحاديث الشريفة، وأول هؤلاء هم أهل الكفر والشرك لأنه أكبر الكبائر، قال تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١} [البقرة: ١٦١].

ففرعون، عليه لعنة الله، لما تجرأ على مقام الألوهية واستكبر على مقام العبودية وقال: أنا ربكم الأعلى، فكان جبريل عليه السلام يسارع في إهلاكه وهو يغرق حتى لا تدركه رحمة الله تعالى حيث قال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل، فظن جبريل عليه السلام أن هذا سينفعه فكان يسارع في إدخال الماء إلى فيه فرعون ليعجّل بهلاكه وذلك لأن فرعون قد تجرأ على الله، ففي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ :«**لو رأيتني وأنا آخذ من حمأ البحر فأدسه في فيّ فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة**» (١).

وكذا موقفهم عليهم السلام مع النبي ﷺ لما أراد أبو جهل أن يقترب من النبي ﷺ كي يقتله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي - زعم ليطأ على رقبته - فما فاجأهم منه إلا وهو يركض على عقبيه، ويتقي بيديه، وقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، وقال رسول الله ﷺ :«**لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**» (٢).

(١) صحيح الجامع رقم ٤٢٢٩.
(٢) مسلم، ك فضائل النبي ﷺ رقم ١٥٣٩.

والملائكة تقوم بامتهان الكافرين وذلك بضرب وجوههم وأدبارهم عند موتهم[1].

- قال تعالى:{وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾} [الأنفال: ٥٠].

والملائكة تتحدث إلى عصاة المسلمين وإلى الكافرين.

- قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ} [النساء: ٩٧].

- وقال تعالى:{وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾} [الزمر: ٧١].

- وقال تعالى:{كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ} [الملك: ٨ - ٩][2].

سابعاً: خوفهم من الله وخشيتهم له:

وعن وجلهم وخوفهم من الله تعالى يقول عز وجل عنهم قال تعالى: { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [النحل: ٤٩ - ٥٠].

وفي معجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال:«مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى، وجبريل،

(١) عبودية الكائنات برب العالمين صـ٣٦٤.
(٢) عبودية الكائنات لرب العالمين صـ٣٦٤.

كالحلس[1]، البالي من خشية الله تعالى» [2].

ثامناً: حضور مجالس الذكر وخطبة يوم الجمعة:

قال رسول الله ﷺ :«إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً، بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي، قالوا: لا يا رب، فقال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: يستجيرونك؟ قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: يستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم قال: فيقول: وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» [3].

وقال رسول الله ﷺ :«إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر» [4].

تاسعاً: حضورهم الصلوات في المساجد وقولهم ما يقول المأموم:

(١) الحلس: كساء يبسط في أرض البيت.
(٢) صحيح الجامع (٥ / ٢٠٦).
(٣) البخاري ر قم ٦٠٤٥.
(٤) فتح الباري على صحيح البخاري (٢/ ٢٠٧).

- قال رسول الله ﷺ :«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» [(١)].

- وقال رسول الله ﷺ :«إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول: آمين» [(٢)].

- وقال رسول الله ﷺ :«إذا قال الإمام سمع الله لمن حمد، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» [(٣)].

عاشراً: صلاة الملائكة:

الصلاة من الملائكة منها ما هي متعلقة بالأذكار وهي بمعنى الدعاء كصلاتهم على النبي ﷺ قال تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾} [الأحزاب: ٥٦].

وكصلاتهم علينا بمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم، ومنها صلاة خاصة بهم عند البيت المعمور.

كما ورد ذلك في حديث رسول الله ﷺ حيث قال:«فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم» [(٤)].

---

(١) مسلم (١/ ٤٣٩) رقم ٦٣٣.
(٢) مسلم (١/ ٣٠٧) ك الصلاة.
(٣) مسلم (١/ ٣٦) رقم ٤٠٩ ك الصلاة.
(٤) مسلم (١/ ١٤٦) رقم ١٦٢.

وعبادات الملائكة كثيرة لعلنا لم نعرف منها إلا القليل، وقد ورد في النصوص أن للملائكة عبادات تشبه بعض أجزاء صلاتنا المشروعة لنا ومن هيئات هذه العبادات:

١- القيام والاصطفاف:

قال تعالى:{وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾} [الصافات: ١٦٤، ١٦٥].

وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت تربتنا لنا طهوراً إذا لم نجد الماء**» وذكر خصلة أخرى(١).

٢- الركوع والسجود:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾} [الأعراف: ٢٠٦].

وقد جاء في السنة كذلك وصف الملائكة بالركوع والسجود فمن ذلك حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :«**أطت السماء وحقّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» (٢).

الحادي عشر: سلام الملائكة:

دلت النصوص على تسليم الملائكة على بني آدم ومن ذلك تسليمهم على المؤمنين في سكرات الموت كما قال تعالى:{ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) مسلم (١/ ٣٧١) رقم ٥٢٢.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٠٦٠.

طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾} [النحل: ٣٢].

أخبر تعالى عن حال المؤمنين عند الاحتضار أنهم طيبون أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة(١).

والملائكة كذلك تسلم على أهل الجنة بعد فتح أبوابها.

قال تعالى:{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } [الزمر: ٧٣].

والملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب وتسلم عليهم، قال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٣، ٢٤](٢).

* * *

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٨).
(٢) في الملائكة المقربين د. محمد عقيل ص ١٣٤.